من خصائص النظم القرآني
في تفسير المراغي (ت:١٣٧١هـ)

أ.م.د لينا طهماز علي الدلوي
كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد
Dr.Lenaalkurdiygg7@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

قد اجتهد العلماء في الحديث عن وجه الإعجاز القرآني كالإعجاز البياني فكثرت الكتب والبحوث فكان من بين هذه الكتب (تفسير المراغي) فقد كانت تعليلاته ميسرة وسهلة، وكما أن تكرار العلة لدى المفسرين لا يدل على جمود المفسر عند هذه العلة، وإنّما يدل على أن هذه العلة أقرب إلى النص وأحق به من غيره.

الكلمات المفتاحية: النظم القرآني، تفسير المراغي، التفاسير، العلة، الإيثار، الألفاظ، الأساليب البلاغية.

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم حمدًا لمن أنزل القرآن تبيانًا للناس وهدى وموعظة للمتقين، وأرسل سيدنا محمدًا بشيرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين، صلى الله وسلم وآله وصحبه مصابيح الهدى وترجمان القرآن الي هو حجة الله على الناس أجمعين. أتى رب العالمين فيه بالبراهين الساطعة، والحجج الدامغة على انفراده سبحانه بالألوهية واختصاصه جل ذكره بالمعبودية. دمغ به الباطل وأزهقه وزيف به عقائد العرب وبيّن لهم النجدين، فمنهم من مال إلى الإسلام، ومنهم من خضع بالسيف والسنان.

وبعد...

فقد اجتهد العلماء في الحديث عن وجه الإعجاز في التنزيل الكريم، فمنهم من قال بالصرفة، ومنهم من قال بالإعجاز التشريعي، ومنهم من قال بالإعجاز العلمي، ولكن فكرة الإعجاز البياني هي التي سيطرت على عقول علماء العربية، فهم قد رفضوا النظريات السابقة؛ لأن الطعن يتطرق إليها، والتمسوا وجهًا يشمل جميع آيات القرآن، ولم يكن هذا إلا الإعجاز البياني، فكثرت الكتب والبحوث لدى العلماء الذين حرصوا أن يبينوا إعجاز القرآن الكريم، فكان من بين هذه الكتب:

تفسير المراغي، الذي كان فارسًا في ميدان التعبير القرآني وإبراز علله، وهمامًا في التصدي لبيانه.

واقتضت الدراسة: أن تكون في فصلين، يسبقها تمهيد، وتتلوها خاتمة، وتناولت في التمهيد: نبذة عن مصطفى المراغي. أما الفصل الأول: فقد تناولت فيه (الايثار) والمقصود به التفصيل الذي اتسم به النظم القرآني للألفاظ والتراكيب، وهو على مبحثين: كان الأول في مطلبين: اثرت فيه إلى ايثار الألفاظ من أسماء وأفعال. أما الثاني: فهو على مطلبين: شرعت فيهما إلى الايثار في التراكيب، وأعني بهما الجمل وفواصل الآيات وفواتح السور. وانعقد الفصل الثاني بالحديث عن الايثار في الأساليب البلاغية وقد اشتمل على مبحثين، تناولت في الأول: أساليب التعبير اللفظية كالتكرار في الأسماء والأفعال والجمل الايثار في فنون علم البديع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التَّمْهِيْد

أولاً: المقصود بالعلة

إنَّ هذه الدراسة في هذا البحث الموجز تتناول جانبًا من جوانب إعجاز القرآن الكريم في بيانه وأسرار تعبيره في تفسير مصطفى المراغي وهذا موضوع يتوخى فيه أصحابه بيان أسرار الإعجاز اللغوي في النظم الحكيم، وذلك من معرفة علل رأوها أسبابًا لما أعجزهم متمثلة بوجهات نظر يرونها.

والمقصود بالعلة: بيان السبب وهو معنى من المعاني الذي يذكرها اللغويون إذ يذكرون لها معاني عدة: منها المرض، ومنها الحدث يشغل صاحبه، ومنها ما يعوق صاحبه عن أمر ما ومنها بيان الغرض (الزبيدي، د.ت، ص ٣٠/٣٧) (Al-Zubaidi, D.T, p. 30/37)، وبيان الغرض الذي نحن بصدد بحثه لا نعني به الجزم بأن الله تعالى قال ذلك للعلة الفلانية التي ذكرها مفسر ما وإنما هو قول أدلى به صاحبه في وجهات نظر رآها على وفق معايير كلام العرب محاولاً فهم كلام الله تعالى فهمًا أدق فهو وجه من وجوه التفسير بالرأي.

ثانيًا: التعريف بمصطفى المراغي

وهو أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، أحد العلماء تخرج بدار العلوم سنة (١٩٠٩م) ثم درس الشريعة الاسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس.

وعين استاذًا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٧١هـ – ١٩٥٢م)، له كتب منها:

١. الحسبة في الإسلام، طُبع كرسالة.
٢. الوجيز في أصول الفقه، طُبع في مجلدين.
٣. علوم البلاغة ، طُبع في مجلدين.
٤. تفسير المراغي، طُبع في ثمانية مجلدات (الزركلي، ٢٠٠٢، ص٢٥٨/١) (Al-Zarkali, 2002, p. 1/258) ثلاثين جزءًا.

أما منهجه في التفسير:

١. شرح الألفاظ المفردة التي يصعب على القارئ فهمها لأول وهلة.
٢. ذكر المعنى المراد من الآيات في عبارة مختصرة.
٣. وضح المعاني ايضاحًا شاملاً شافيًا (المراغي، ١٩٤٦، ص٢٧٤/٣٠).

المبحث الأول: إيثار الألفاظ

المطلب الأول

إيثار الأسماء الظاهرة

وفيه:

أ- إيثار اسم الذات، وفيه:

أ- ١/ إيثار اسم الذات على مثله:

أ. ١ – أ / إيثار اسم الذات على اسم الذات (لفظًا) وفيه ما يأتي:

أولاً: إيثار (الحمد) على (المدح) و (الشكر).

قد تتعاور المفردات في النظم القرآني فتستعمل مفردة بدلاً من مفردة أخرى علمًا أن الموقف واحد. قال الدكتور فاضل السامرائي: "إنّ الذي نريد أن نوضحه هنا أن ذلك ليس تناقضًا ولا اختلافًا" (السامرائي، ٢٠٠٦، ص١٠٩) (Al-Samurai, 2006, p.109) ، فالتعبير القرآني جاء مؤثرًا لفظة ما على أخرى، ومنه إيثار (الحمد) على (المدح) و(الشكر) وذلك ما نراه واضحًا في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الفاتحة، الآية ٢) (Surat Al-Fatihah, verse 2) وقد علستانل مصطفى المراغي هذه الظاهرة قائلاً: "الحمد: لغة: هو المدح على فعل حسن صدر عن فاعله باختياره سواء أسداه إلى الحامد أو إلى غيره. و(المدح) يعم هذا وغيره فيقال: مدح المال، ومدح الجمال، ومدح الرياض" (المراغي، ١٩٤٦، ص ٢٩/١). (Al-Maraghi, 1946, p. 1/29). وبذلك فرق بين (الحمد) و (المدح)، ونستطيع أن نلخص الفرق بينهما من وجوه:

١. ان الحمد لا يكون إلا للعاقل، والمدح يكون للعاقل ولغير العاقل، ومنه يكون المدح أعم من الحمد، قال الرازي: " إن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي، ألا ترى أن من رأى لُؤلُؤةً في غاية الحُسنِ أو ياقوتةً في غاية الحُسنِ فإنه قد يمدحُها ويستحيل أن يحمدها، فثبت أنّ المدح أعمُّ من الحمد" (الرازي، ١٤٢٠، ص ١/١٩٠) (Al-Razi, 1420, p. 1/190) .

٢. ان المدح قد يكون قبل الاحسان، وقد يكون بعده لذا كان المدح منهيًا عنه فقد قال الرسولﷺ :(احثوا التُرابَ في وجوه المدّاحين) (النيسابوري، ٤/٢٢٩٧، رقم (٣٠٠٢)) (Al-Nisaburi, 4/2297, No. (3002)) ، بخلا الحمد فأنه لايكون إلا بعد الإحسان لذا فانه مأمور به فقد قال الرسولﷺ:(مَنْ لم يحمدِ الناسَ لم يحمدِ الله) (لم أقف على حديث بهذا النص وانما وجدت حديثاً آخر بنص (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) السجستاني، د.ت، ٤/١٥٥) (I did not find a hadith with this text, but rather I found another hadith with the text (God does not thank those who do not thank the people) Al-Sijistani, dt, 4/155).

٣. ان في الحمد تعظيمًا وفخامة وأكثر اطلاقًا على الله تعالى ما ليس في المدح.

أما فيما يخص الفرق بين (الحمد) و(الشكر) فقد علل ذلك مصطفى المراغي قائلاً: (الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدٌ لم يحمده) (الآلوسي، ١٤١٥، ص ١/٧٣) (Al-Alusi, 1415, p. 1/73) وقد جعله رأس الشكر؛ لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على من أسدها، يشهرها بين الناس ويجعل صاحبها القدوة المؤتسى، أما الشكر بالقلب فهو خفي قلّ من يعرفه، وكذلك الشكر بالجوارح منهم لا يستبين لكثير من الناس" (المراغي، ١٩٤٦، ص ١/٣٠) (Al-Maraghi, 1946, p. 1/30).

أي: إنّ الحمد أعم من الشكر؛ لأن الحمد: هو الشكر وزيادة فإنك تحمد الانسان ولا تشكره على صفاته الذاتية وعلى عطائه، لذا قد جُعل الحمد رأس الشكر، كما ان كلمة الاخلاص رأس الإيمان (ابن منظور، ١٤١٤، ص ٢/٩٨٧) (Ibn Manzur, 1414, p. 2/987) والشكر يقابل النعمة فيثني على المنعم بلسانه (ابن منظور، ١٤١٤، ص ٤/٢٣٠٥) (Ibn Manzur, 1414, p. 4/2305).

وقد بيّن من قبل الراغب الأصفهاني الفرق بين (الحمد، والمدح، والشكر)، حيث قال: "الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون بين الناس باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله

وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول. والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكر، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمد" (الأصفهاني، ١٤١٢، ص ٢٥٦/١) (Al-Isfahani, 1412, p. 1/256).

ثانيًا: إيثار (الضيافة) على (الاطعام)

جاء في تفسير المراغي عند بيان قوله تعالى: فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا (سورة الكهف، الآية ٧٧) ، " وفي قوله فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا دون أن يقول (فأبوا أن يطعموهما) زيادة تشيع عليهم ووصفهم بالدناءة والشح، فإن الكريم قد يرد السائل المستطعم ولا يعاب، ولكن لا يرد الغريب المستضيف إلا لئيم، ألا تراهم يقولون في أهاجيهم: فلان يطرد الضيف" (المراغي، ١٩٤٦، ص ٧/١٦).(Al-Maraghi, 1946, p. 16/) إن مصطفى المراغي متابع في ذلك مِمّنْ سبقه من المفسرين كالزمخشري (الزمخشري، د.ت، ص ٦٨٨/٢) (Al-Zamakhshari, D.T, p. 2/688) والقرطبي (القرطبي، ٢٠٠٣، ص ٢٥/١١) (Al-Qurtubi, 2003, p. 11/25) وآخرين (الشربيني، ١٢٨٥، ص ٣٩٦/٢) (El-Sherbiny, 1285, p. 396/2).

ثالثًا: إيثار (الصيحة) على (الرجفة) وبالعكس

جاء ذكر (الصيحة) و (الرجفة) في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الأعراف: فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ (سورة الأعراف، الآيتان: ٧٧ – ٧٨) (Surat Al-A'raf, two verses: 77-78)..

وقال في سورة هود: وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨ (سورة هود، الآيتان: ٦٧ – ٦٨) (Surah Hood, verses: 67-68)) .

علمًا ان الحكاية واحدة، ويرى مصطفى المراغي بأنه لا تعارض بينهما، والمراد بالجميع الصاعقة؛ لأن (الصيحة) كانت سببًا لـ (الرجفة) فإن نزول الصيحة قوة شديدة ترجف من هولها الأفئدة وتضطرب الأعصاب (المراغي، ١٩٤٦، ص ٢٠١/٨) (Al-Maraghi, 1946, pg. 8/201) (البقاعي، ١٤١٥، ص ١٢١/٣) (Al-Buqai, 1415, p. 3/121) وقد قال البقاعي عن الفرق بينهما: "وحاصله انه عبر بالرجفة وحدّ الدار اشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب، وحيث عبّر بالصيحة جمع إيماءً إلى عموم الموت بشدة الصوت، ولا مخالفة لأن عذابهم كان بكلٍ منها، ولعل احداهما كانت سببًا للأخرى، ولعل المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابًا قطعيًا، أو ان الدار رجفت فرجفت القلوب وهو أقرب، وخصّت (الأعراف) بما ذكر فيها؛ لأن مقصودها انذار المعرضين، والرجفة أعظم

قرعًا لعدم الإلف لها – والله أعلم" (البقاعي، ١٤١٥، ص ١٢١/٣). (Al-Buqai, 1415, p. 3/121).

أما لفظ (الصيحة) في سورة المؤمنون فقد استشكل على بعض العلماء وذلك في قوله تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ (سورة المؤمنون، الآية: ٤١) (Surat Al-Mu'minoon, verse 41) فجعلوا هذه الآية خاصة بتصوير هلاك (ثمود) قوم صالح عليه السلام فهم المهلكون بها دون (عاد)، قال تعالى: وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ (سورة هود، الآيتان: ٦٧ – ٦٨). (Surat Hood, verses: 67-68).

والصواب ان الآية في تصوير هلاك (عاد) قوم هود عليه السلام فهذا المأثور عن ابن عباس رضي الله عنه ، وقد ذهب إليه أكثر المفسرين، وأما ذكر (الصيحة) فقالوا: بأن جبريل عليه السلام صاح بهم من الريح، فقوم هود أُهلكوا بأمرين: بريح صرصر عاتية، وبصيحة جبريل لهم من هذه الريح، وأُفردت (الصيحة) هنا للدلالة على التهويل وشدة الأخذ، والاشارة إلى أنها لو انفردت لتدميرهم لكفى (الالوسي، ١٤١٥، ص٢٣٥/٩). (Al-Alousi, 1415, pp. 9/235).

وقيل المراد بالصيحة: هي كالصاعقة العذاب الشديد، وهذه قد ذُكرت في إهلاك كل من (عاد، وثمود) قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (سورة فصلت، الاية ١٣). (البقاعي: ١٤١٥، ص ١٢١/٣). (Al-Buqai: 1415, p. 3/121).

كما أن ما أهلك به (ثمود) الصيحة، وبعبارة أخرى كان عذابهم بالصيحة وهذا في جميع الآيات القرآنية ما عدا في سورة الأعراف اطلق الرجفة – كما تقدم (الطبري، ٢٠٠٠، ص ٥٤٥/١٢) (Al-Tabari, 2000, pp. 12/545) (الطبري، ٢٠٠٠، ص ٥٤٥/١٢). (Al-Tabari, 2000, pp. 12/545).

فآية (المؤمنون) تصور عذاب قوم انشأوا بعد قوم نوح عليه السلام وهم (عاد) قوم هود عليه السلام وهذا يقتضيه الترتيب فكان حملهم على عاد أولى (القرشي، ١٤١٩، ص٢٥٦/٢) (Al-Qurashi, 1419, pp. 2/256) (فيود، ٢٠١٠، ص ٢١٨ – ٢١٩). (Feud, 2010, pp. 218--219).

رابعًا: إيثار (القول) على (السر)

وقد عَلَّلَ مصطفى المراغي إيثار استعمال لفظ (القول) على (السر) في قوله تعالى: قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٤)

(Surah Al-Anbiya, Verse 4)). حيث قال: "وإنما آثر كلمة (القول) التي تعم السر والجهر دون كلمة (السر) ... للإيذان بأن علمه تعالى بالأمرين على وتيرة واحدة، لا تفاوت فيه بالجلاء والخفاء كما في علوم العباد. وخلاصة ذلك إنه يعلم هذا الضرب من الكلام وأعلى منه وأدنى منه، وفي هذا مبالغة في علمه تعالى بكل ما يمكن أن يسمع أو يعلم" (المراغي، ١٩٤٦، ص٧/١٧) . (Al-Maraghi, 1946, p17/7).

وقد عمد الزمخشري إلى تفصيل هذه المسألة إذ قال: "فإن قيل: هلّا قيل: (يعلم السر) كقوله تعالى: فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ (سور طه، الآية٦٢) (Surah Taha, Verse 62) قلت: القول عام يشمل السرّ والجهر فكان في العلم به بالسرّ وزيادة، فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السرّ، آكد من أن يقولُ: (يعلم سرهم). ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية. فإن قلت: فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله: قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ (سورة الفرقان، الآية ٦) (Surah Al-Furqan, Verse 6) قلت: ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع. ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتنّ الكلام افتنانًا، وتجمع الغاية وما دونها، على أن اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه، من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى، فكأنه أراد أن يقول: إن ربي يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وتم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، فهو كقوله تعالى: عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ (سورة المائدة، الآية ١٠٩) (Surah Al-Ma'idah, verse 109) ، و عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ (سورة سبأ، الآية ٣) (Surah Saba, Verse 3) " (الزمخشري، د.ت، ٣/١٠٣-١٠٤). (Al-Zamakhshari, dt, 3 / 103-104). وخلاصة القول: إنّ القول عام يشمل السر والجهر.

خامسًا: إيثار (من القالين) على (قالٍ)

فقد تطرق مصطفى المراغي إلى ذلك في تفسيره قوله تعالى: قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٦٨) (Surah Ash-Shuara, verse 168) : "أي: إني بريء مما تعملون، مبغض له، لا أحبه ولا أرضاه، ولا يضرني تهديدكم ولا وعيدكم، وإني لراغب في الخلاص من سوء حواركم. وقال: (من القالين) دون (قال) إيماء إلى أنه من القوم الذين لو سمعوا بما تفعلون لأبغضوه، كما يقال: فلان من العلماء فإنه أشدّ مدحًا من قولك فلان عالم، إذ الأولى تدل على أنه في عداد زمرة العلماء المعروفين بمساهمته لهم في العلم" (المراغي، ١٩٤٦، ص ١٩/٩٥) (Al-Maraghi, 1946, p. 19/95).

وقد فصّل الزمخشري ذلك بقوله: " (من القالين) أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال: كما تقول: فلان من العلماء، فيكون ابلغ من قولك: فلان عالم؛ لأنك تشهد له بكونه معدودًا في زمرتهم، ومعروفة مساهمته لهم في العلم. ويجوز أن يريد: من الكلامين في قلاكم. والقلي: البغض الشديد: كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد. وفي هذا دليل على عظم المعصية" (الزمخشري، د.ت، ص ٣٣٦/٣) (Al-Zamakhshari, D.T, p. 3/336) ، وقد تابعه في ذلك الرازي وغيره (الرازي، ١٤٢٠، ص ٥٢٦/٢٤) (Al-Razi, 1420, pp. 24/526) (الأندلسي، ١٤٢٠، ص ١٨٤/٨) (Andalusian, 1420, p. 8/184).

أ . ١ – ب/ إيثار الاسم الظاهر على الضمير

آثر النظم القرآني استعمال الاسم الظاهر بدل الضمير، وقد وقف مصطفى المراغي لبيان ذلك عند قوله تعالى: ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ (سورة الملك، من الآية ٣)(Surah Al-Mulk, from verse 3) ، إذ قال: "وإنما قال: مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ (سورة الملك، من الآية ٣) (Surah Al-Mulk, from verse 3) دون أن يقول: (فيها) تعظيمًا لخلقهنّ، وتنبيهًا إلى سبب سلامتهن من التفاوت بأنهن من خلق الرحمن، وأنه خلقهنّ بباهر قدرته وواسع رحمته تفضلاً منه وإحسانًا، وأن هذه الرحمة عامة في هذه العوالم جميعًا" (المراغي، ١٩٤٦، ص ٧/٢٩).(Al-Maraghi, 1946, p. 29/7)). وهذا عليه أكثر المفسرين كالزمخشري، والنسفي، وابن عادل (الزمخشري، د.ت، ص ٥٨٠/٤) (Al-Zamakhshari, DT, p. 4/580) (النسفي، ٢٠٠٥، ص ٤٩٨١/١). (Al-Nasafi, 2005, p. 1/4981).

ومنهم من حمله على أن كلام مستأنف وليس من باب إقامة الظاهر مقام المضمر وقد فضل ذلك السمين الحلبي بقوله: "وقام الظاهرُ فيها مقام المضمر، وهذا إنما نعرفه في خبر المبتدأ، وفي الصلة، على خلافٍ فيهما وتفصيل ... والظاهر انه مستأنفٌ وليس بظاهر لانفلاتِ الكلام بعضه من بعض. و(خلق) مصدر مضافٌ لفاعله، والمفعول محذوفٌ أي: في خلق الرحمن السماوات أو كلَّ مخلوقٍ، وهو أولى ليعُمَّ، وإن كان السياقُ مرشدًا للأول" (السمين الحلبي، د.ت، ٣٧٩/١٠) (Al-Samin Al-Halabi, dt, 10/379) (الرازي، ١٤١٥، ص ٨/١٥) (Al-Razi, 1415, p. 15/8) وأرى ان إيثار الاسم الظاهر على الضمير في القرآن الكريم خاضع لما يقتضيه السياق ومقام الحال.

ب – ١/ إيثار (الاستعجال) على (التعجيل):

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ۞وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۚ (سورة يونس، الآية١١). (Surah Yunus, verse 11).

أشار مصطفى المراغي إلى تعليل هذا الإيثار من خلال تعريضه للآية الكريمة؛ إذ قال: "تعجيل الشيء: تقديمه قبل أوانه المقدر له أو الموعود به، والاستعجال به: طلب التعجيل ... ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر وفيما عليهم فيه مضرة في نفس أو مال ... كاستعجالهم بالخير الذي يطلبونه بدعاء الله أو بعلاج الأسباب التي يظنون أنها قد تأتي قبل أوانه لقضي أجلهم قبل وقته الطبيعي كما أهلك الذين كذبوا الرسل واستعجلوهم بالعذاب من قبلهم" (المراغي، ١٩٤٦، ١١/٧٣-٧٤) (Al-Maraghi, 1946, 11 / 73-74).

وقد ذكر ابن منظور بخصوص (استعجالهم) بـ:

١. إن (استعجالهم) ليس مصدرًا لـ (عجل) بل هو منصوب بفعل محذوف يوافق حروفه (استعجل).
٢. وقيل: نصب (استعجالهم) بالفعل (يعجل).
٣. وقيل: نصب (استعجالهم) على معنى مثل: استعجالهم (ابن منظور، ١٤١٤، ص ٤/٢٨١٢). (Ibn Manzur, 1414, p. 4/2812).

ويرى الباحث بأن التوسع في المعنى هو الذي قادهم إلى حمل التعبير على أخذ المصدر من فعل إلى آخر. وخلاصة القول فيما تقدم انه: وضع (استعجالهم بالخير) موضع (تعجيله لهم الخير) اشعارًا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم.

وهو كلام رصين يدل على دقة صاحبه إذ لا يكاد يوضع مصدر مؤكد مقارنًا لغير فعله في الكتاب العزيز بدون مثل هذهِ الفائدة الجليلة. والنحاة يقولون في ذلك: أجرى المصدر على فعل مقدر دل عليه المذكور ولا يزيدون عليه، وإذا راجع الفطن قريحته وناجى فكرته علم أنه إنما قرن بغير فعله لفائدة، وهي كقوله تعالى: وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ (سورة نوح، الآية ١٧) (Surah Noah, verse 17) التنبيه على نفوذ القدرة في المقدور وسرعة إمضاء حكمها حتى كأن انبات الله تعالى لهم نفس نباتهم، أي: إذا وجد الإنبات وجد النبات حتما حتى كأن أحدهما عين الآخر فقرن به" (صافي، ١٤١٨، ص ١١/٨٧) (Safi, 1418, pp. 11/87) (الدينوري، د.ت، ص ١/٢٢٦). (Al-Dinori, dt, p. 1/226).

المطلب الثاني

إيثار الأفعال

أ / إيثار صيغة (فعّل) على (أفعل) وبالعكس:

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ (سورة آل عمران، الآية ٣). (Surah Al Imran, Verse 3).

جاء في تفسير المراغي: "نزّل يفيد التدريج والقرآن نزل كذلك في نيف وعشرين سنة بحسب الحوادث ... وعبر عن الوصي مرة بالتنزيل، وأخرى بالإنزال للإشارة إلى أن منزلة الموحى اعلى من الموحى إليه" (المراغي، ١٩٤٦، ص٣/٩٢). (Al-Maraghi, 1946, p. 3/92).

أي: ان نزّل يفيد التدرج ويؤيده ما ذهب إليه ما ذكره الرضي الاسترآبادي إلى أن (أنزل) يفيد التدرج والتكرار، وان الانزال عام، وقيل: إنّ ذلك هو الأكثر وليس نصًا في أحد المعنيين، إذ قال: "ولذلك سمي الكتاب العزيز (تنزيلاً)؛ لأنه لم ينزل جملة واحدة، بل سورة سورة، وآية آية، وليس نصًا فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ۞قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

(سورة الفرقان، الآية ٣٢)، (Surat Al-Furqan, Verse 32)، وقوله: وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ (الاسترابادي، ١٩٧٥، ص١/٩٣). (Al-Estrabadi, 1975, pp. 1/93).

ومنهم من قال بأنه عبر بـ (أنزل) في التوراة والانجيل؛ لأنهما أنزلا دفعة واحدة، وعبر (نزّل) المقتضي للتكرير؛ لأنه نزل في ثلاث وعشرين سنة (الغرناطي، د.ت، ١/٧٦) (Al-Gharnati, dt, 1/76) (الشربيني، ١٢٨٥، ص ١/٩٤). (El-Sherbiny, 1285, p. 1/94).

خلاصة ما تقدم: "والذي يبدو ان استعمال (نزّل) قد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة ... فالتنزيل قد يستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الانزال ... وقد تقول: وكيف يكون اللفظ الواحد لأكثر من معنى؟ فتقول: هذا كثير في اللغة، ومن ذلك في سبيل المثال: (كفّر يكفِّر) فقد (كفَّره) بمعنى نسبه إلى الكفر، أي: يُقال: قَالَ هذا كافر، وقد يكون بمعنى: جعله يكفر (ابن منظور، ١٤١٤، ص ١٤٨/٥) ... فـ (نزّل) يمكن أن يستعمل لأكثر من معنى، فإن هذا الفعل قد يكون للتدرج والتكثير كما ذكرت، وقد يكون للمبالغة والاهتمام، فما استعمل فيه (نزّل) يكون أهم وآكد مِمَّا استُعمل فِيه (انزل) " (السامرائي، ٢٠٠٦، ص ٦٠-٦١). (Al-Samarrai, 2006, pp. 60-61).

المطلب الثالث

الإيثار في الحروف

أ / إيثار حرف على حرف

أ – ١ / إيثار (الواو) على (أو)، وبالعكس:

بيّن مصطفى المراغي علّة ذلك الايثار في قوله تعالى: فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ(سورة البقرة، من الآية: ١٩٦) (Surat Al-Baqara, from verse: 196)، قال: "أي هذه الأيام الثلاثة والسبعة الأيام عشرة كاملة، وهذا نتيجة لما تقدم مبين لجملة العدد الواجب بعد أن بينه تفصيلاً، وفائدته إزالة وهم من قد يظن أن الواو للتخيير كقوله تعالى: أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ(سورة فاطر، من الآية: ١) (Surat Fater, from verse 1) .

وقولهم: جالس الحسن وابن سيرين، وإرشاد إلى أن المراد بالسبعة هنا العدد دون الكثرة في الآحاد وهي تستعمل لهما، إلى أن القرآن قد جرى على طريقتهم في التخاطب، فهم لكونهم أمة أمية كان أحدهم إذا خاطب صاحبه بأعداد متفرقة جمعها له ليسهل إحاطته بها" (المراغي، ١٩٤٦، ٢/٩٨). (Al-Maraghi, 1946, 2/98).

قال الزمخشري: "فإن قلت: فما فائدة الفذلكة؟ قلت: الواو قد تجيء لإباحة في نحو قولك: جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى انه لو جالسهما جميعًا أو واحدًا منهما كان ممتثلاً ففذلكت نفيًا لتوهم الإباحة وأيضًا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم" (الزمخشري، د.ت، ١/٢٦٩) (Al-Zamakhshari, dt. 1/269) (ابن هشام، ١٩٨٥، ص ١/٩٠). (Ibn Hisham, 1985, p. 1/90).

إنّ مجيء الاسلوب الحكيم بـ (الواو) بدل (أو) هو ليس نصًا قطعًا في الجمع فقد تكون الواو بمعنى (أو) كقولهم جالس الحسن وابن سيرين وعندما ذكر وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ ة(سورة البقرة، من الآية: ١٩٦) (Surat Al-Baqara, from verse: 196) إزالة لهذا التوهم (الرازي، ١٤٢٠، ص ٥/٣١٠) (Al-Razi, 1420, pp. 5/310) (الشوكاني، د.ت، ص ١/١٩٧). (Al-Shawkani, dt, p. 1/197).

المبحث الثاني

الإيثار في التراكيب وفواصل الآيات وفواتح السور وتناسبها

المطلب الأول

الإيثار في التراكيب

أ – إيثار الجملة الاسمية على مثلها:

لقد آثر التعبير القرآني استعمال الجملة الاسمية على مثلها، ومن ذلك قوله تعالى: يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ (سورة النساء، من الآية: ١١) (Surah An-Nisa, from verse 11) ، قال المراغي معللاً هذه الظاهرة: " أي: للذكر منهم مثل نصيب اثنين من إناثهم إذا كانوا ذكورًا أو إناثًا، واختير هذا التعبير ولم يقل: (للأنثى نصف حظ الذكر) إيماء إلى أن إرث الانثى كأنه مقرر معروف وللذكر مثله مرتين، وإشارة إلى إبطال ما كانت عليه العرب في الجاهلية من منع توريث النساء.

والحكمة في جعل حظ الذكر كحظ الأنثيين، أن الذكر يحتاج إلى الإنفاق على نفسه وعلى زوجه فجعل له سهمان، وأما الأنثى فهي تنفق على نفسها فحسب، فإن تزوجت كانت نفقتها على زوجها" (المراغي، ١٩٤٦، ص ١٩٦/٤) (Al-Maraghi, 1946, p. 4/196) (الشربيني، ١٢٨٥، ص ٢٨٤/١). (El-Sherbiny, 1285, p. 1/284)

وقد فصَّل ذلك الرازي القول في هذا الإيثار: "لِمَ لم يقل: للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأنثى مثل نصف حظ الذكر؟ فأجاب قائلاً: والجواب من وجوه:

الأول: لما كان الذكر أفضل من الأنثى قدم ذكره على الانثى، كما جعل نصيبه ضعف نصيب الانثى.

الثاني: ان قوله: لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ يدل على فضل الذكر بالمطابقة، وعلى نقص الانثى بالالتزام، ولو قال كما ذكرتم لدلّ ذلك على نقص الانثى بالمطابقة وفضل الذكر بالالتزام، فرجح الطريق الأول تنبيهًا على أن السعي في تشهير الفضائل يجب أن يكون راجحًا على السعي في تشهير الرذائل، ولهذا قال: وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١ (سورة الإسراء: من الآية: ١١) (Surah Al-Israa: from verse 11)، فذكر الاحسان مرتين والاساءة مرة واحدة.

الثالث: إنهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث، وهو السبب لورود هذه الآية، فقيل: كفى للذكر أن جعل نصيبه – ضعف – الانثى، فلا ينبغي له أن يطمع في جعل الانثى محرومة عن الميراث بالكلية –والله أعلم– " (الرازي، ١٤٢٠، ص ٥١٢/٩) (Al-Razi, 1420, pp. 9/512) (القرشي، ١٤١٩، ص٤٧١/١). (Al-Qurashi, 1419, p. 1/471).

فبدأ الجملة بالذكر دون الانثى لفضله؛ ولأن القصد ذكر حظه، ولو قد الانثيين على الذكر لكان فيه تفضيل للانثى (القرشي، ١٤١٩، ص ٤٧١/١). (Al-Qurashi, 1419, p. 1/471).

المطلب الثاني

الإيثار في الفواصل وفواتح السور وتناسبها

أولاً: الإيثار في الفواصل

أ / إيثار فاصلة اسمية على اسمية:

جاء في استعمال النص القرآني إيثار أسماء معينة في الفاصلة على غيرها وذلك لما تتضمنه هذه الأسماء من ملائمة لما تقتضيه معنى الآية، ومنه قوله تعالى: كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ (سورة التوبة، الآية: ٨). (Surah al-Tawbah, verse: 8).

فإن قيل: لِمَ وصف الله سبحانه وتعالى الكفار بالفسق ثم أطلق الكثرة على فسقهم، قال المراغي: "لأن أكثرهم خارجون من قيود العهود والمواثيق متجاوزون لحدود الصدق والوفاء، فليس لهم مروءة رادعة ... وإنما وصف (الأكثر)؛ لأنه الناكثون الناقضون لعهودهم، وأقلهم الموفون الذين استثناهم الله تعالى وأمر المؤمنين بالاستقامة لهم ما استقاموا لهم" (المراغي، ١٩٤٦، ص٦٣/١٠). (Al-Maraghi, 1946, p. 10/63).

ومن قبل تطرق البغوي لهذا الايثار، حيث قال: "فإن قيل: هذا في المشركين وكلهم فاسقون، فكيف قال: وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ قيل: أراد بالفِسْق نَقْض العهد ههنا، وكان في المشركين من وَفّى بعهده وأكثرهم نقضوا العهد، فلهذا قالَ: وأكثرهم (فاسقون) " (البغوي، ١٤٢٠، ص ٣٢٠/٢) (Al-Baghawi, 1420, pp. 2/320) (الشربيني، د.ت، ص٥٩١/١). (El-Sherbiny, dt, p. 1/591).

ب / إيثار فاصلة فعلية على مثلها:

إنّ أول مجيئتها في سورة البقرة، قوله تعالى: أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣ (سورة البقرة، الآيتان: ١٢ – ١٣). (Surat Al-Baqarah, verses: 12-13). وقد علل مصطفى المراغي ذلك التناوب بين قوله (لا يشعرون) وقوله: (لايعلمون)، قائلاً: "وقد ختمت هذه الآية بـ (لايعلمون)، وسابقتها بـ (لايشعرون)؛ لأن الإيمان لا يتم إلا بالعلم اليقين، والفائدة المرجوّة منه وهي (السعادة) في المعاش والمعاد لايدركها إلا من يعلم حقيقته ويدرك كنهه، فهم قد أخطأوا في إدراك مصلحتهم ومصلحة

غيرهم. أما نفاقهم وإفسادهم في الأرض فقد بلغ من الوضوح مبلغ الأمور المحسوسة التي تصل إلى الحواس والمشاعر، ولكن لا حس لهم حتى يدركوه" (المراغي، ١٩٤٦، ص ٥٥/١) (Al-Maraghi, 1946, p. 1/55).

وقد بيّن الزمخشري ذلك الإيثار في أثناء بيانه هذه الآية حيث قال: "فإن قلت: فِلَمَ فصلت هذهِ الآية بـ (لايعلمون) والتي قبلها بـ (لايشعرون)؟

قلت: لأنَّ أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة، وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات، معلوم عند الناس، خصوصًا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائمًا بينهم من التغاور والتناحر والتحازب، فهو كالمحسوس المشاهد؛ ولأنّه قد ذكر السفه وهو الجهل، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقًا له، فساق هذهِ الآية بخلاف ما سبقت له أوّل قصة المنافقين فليس بتكرير؛ لأنّ تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم، وهذهِ في بيان ما كانوا عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم انهم معهم، فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم" (الزمخشري، د.ت، ص ١٠٢-١٠٣). (Zamakhshari, DT, pp. 102-103).

ثانيًا: الإيثار في فواتح السور وتناسبها

أ . فواتح السور:

أ – ١ / افتتاح السور باحرف التهجي:

وكان أعجب فواتح السور، هي السور التي تبتدأ بحروف التهجي، وعرف باسم الحروف المقطعة في فواتح السور، وقد تطرق مصطفى المراغي لهذا الموضوع مناقشًا إياه قائلاً: "والحكمة في البداءة بها التنبيه وطلب إصغاء السامعين إلى ما يلقى بعدها، فإن الحكيم إذا خاطب من يكون مشغول البال قدّم على المقصود شيئًا غيره ليلفت المخاطب بسببه إليه، فحينًا يكون كلامًا مفهومًا كقول القائل اسمع أو ألق بالك إليّ، وحينًا يكون في معنى الكلام المفهوم كقولك يا علي، وحينًا يكون صوتًا غير مفهوم المعنى كمن يصفر خلف إنسان ليلتفت إليه.

فالنبي ﷺ وإنْ كان يقظ الجنان فهو إنسان يشغله شأن عن شأن، فحسن من الحكيم الخبير أن يقدّم على المقصود حروفًا هي كالمنبهات لا يفهم منها معنى، لتكون أتم في إفادة التنبيه؛ لأنه إذا كان المقدم قولاً مفهومًا فربما ظن السامع أنه هو المقصود ولا كلام للمتكلم بعد ذلك ليصغى إليه، أما إذا سمع صوتًا لا معنى له

جـزم بـأن هنـاك كلامًـا سـيرد بعـد، فيقبـل إليـه تمـام الإقبـال، ويرهـف السـمع إلـى مـا سيأتي.

وقد ثبت بالاستقراء أن كل سورة في أوائلها حروف التهجي بدأت بذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن نحو: الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ (سورة البقرة، الآيتان: ١ –٢). (Surat Al-Baqarah, verses 1-2)، و الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ (سورة الأعراف، الآيتان: ١ – ٢) (Surat Al-A'raf, verses 1 - 2) ، و يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ (سورة يس، الآيتان: ١ – ٢) (Surah Yaseen, verses: 1-2)، و قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ (سورة ق، الآية: ١). (Surah Q, verse: 1).و حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ (سورة الدخان، الآيتان: ١ – ٢)، (Surah Al-Dukhan, two verses: 1-2)، إلا ثلاث سور كٓهيعٓصٓ ۝١ (سورة مريم، الآية: ١) (Surah Maryam, verse: 1)، و الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ (سورة العنكبوت، الآيتان: ١ – ٢) (Surah Al-Ankaboot, two verses: 1-2)، و الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ (سورة الروم، الآيتان: ١ – ٢) (Surat Al-Rum, verses 1 - 2) " (المراغي، ١٩٤٦، ص٢٠/١١١). (Al-Maraghi, 1946, pp. 20/111).

وقد علل مصطفى المراغي سبب بدأ سورة العنكبوت بقوله الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ (سورة العنكبوت، الآيتان: ١ – ٢). (Surat Al-Ankaboot, two verses: 1-2). بحروف التنبيه دون (القرآن) أو (الكتاب)؛ لأن في هذهِ السورة ذكر جميع التكاليف، وهي شاقة للنفس فهذه الحروف تكون كالمنبه للايقاظ إلى ما يلقي بعدها(المراغي، ١٩٤٦، ص١١٢). (Al-Maraghi, 1946, p. 112)).

وقـد ذهـب أكثـر العلمـاء مـن المفسـرين واللغـويين وغيـرهم إلـى القـول: إنّ هـذه الحـروف المقطعـة فـي فـواتح السـور هـي أسـماء للسـور التـي افتتحـت بهـا، وسـميت بهـا ايـذانًا بأنهـا عربيـة معرفـة التركيـب وهـي تشـير إلـى الاعجـاز (العمـادي، د.ت، ص١/٢٢). (Al-Emadi, dt, p. 1/22).

بينمـا "ذهـب كثيـر مـن المحققـين إلـى أن هـذهِ الحـروف هـي حـروف مسـرودة علـى طريقـة التمديـد، أي: النطـق بلفظهـا فقـط، تنبيهًـا علـى إعجـاز القـرآن، وكأنـه يقـولُ: إن القـرآن منـتظم مـن عـين الحـروف التـي يتـألف منهـا كـلام العـرب؛ فلـولا انـه نـازل مـن عنـد خـلّاق القـوى والقُـدَر لمـا تضـاءلت عـن الإتيـان بمثلـه قـدرتهم، ولا عجـزت عـن كـلام يسـاويه طاقـاتهم، وهـم فرسـان البيـان وأربـاب الفصـاحة والبلاغـة" (عتـر، ١٩٩٦، ص ١٨٦–١٨٨).(Satar, 1996, pp. 186-188)).

إذا فهذه الحروف لها شأن عظيم، فقد افتتحت بها تسع وعشرون سورة، وهو أكبر بالنسبة لغيره من فواتح السور الأخرى، وكل هذه السور مكية عدا البقرة وآل عمران، والسور التي افتتحت بها، كما قال الامام التابعي الحسن البصري ﷺ : "سمعت السلف يقولون: إنها أسماء السور ومفاتيحها" (عتر، ١٩٩٦، ص١٦٠). (Satar, 1996, p. 160).

ب / التناسب:

ب – ١ /مناسبة ترتيب آخر السورة مع ترتيب أولها:

من ذلك قوله تعالى: الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ (سورة السجدة، الآيات: ١ – ٣). (Surah As-Sajdah, Verses: 1-3).

جاء في تفسير المراغي: "صار ترتيب آخر السورة متناسقًا مع ترتيب أولها، فقد ذكر الرسالة في أولها بقوله: يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ (سورة القصص، الآية: ٢٦) (Surah Al-Qasas, verse: 26) وفي آخرها بقوله: وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٢٣ (سورة السجدة، الآية: ٢٣) (Surah As-Sajdah, verse 23) وذكر التوحيد في أولها بقوله: ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ (سورة السجدة، الآية: ٤) (Surah Al-Sajdah, verse 4) وفي آخرها بقوله إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ۝٢٦ (سورة السجدة، الآية: ٢٦) (Surah As-Sajdah, Verse 26) وقوله أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ۝٢٧ (سورة السجدة، الآية: ٢٧) (Surah As-Sajdah, Verse 27)، وذكر الحشر في أولها بقوله: وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ (سورة السجدة، الآية: ١٠) (Surah As-Sajdah, verse 10) ، وفي آخرها بقوله: وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ (سورة السجدة، الآية: ٢٨) (Surat Al-Sajdah, verse 28) " (المراغي، ١٩٤٦، ص١٢٠/٢١) (Al-Maraghi, 1946, pp. 21/120).

وقد أكد ذلك البقاعي بقوله: " الٓمٓ ۝١تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ (سورة السجدة: الآيات : ١-٣)، (Surah Al-Sajdah: Verses: 1-3)، أي: أيقع منهم هذا بعد وضوحه وجلاء شواهده، ثم اتبع ذلك بقوله : ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ (سورة السجدة، الآية: ٤) (Surah Al-Sajdah, verse 4) ... ثم ذكر

انقسامهم بحسب السوابق فقال: أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ (سورة السجدة، الآية: ١٨) (Surah Al-Sajdah, verse: 18) ثم ذكر مصير الفرقين ومآل الحزبين، ثم اتبع ذلك بسوء حال من ذكر فأعرض ... ولما كان الذي قدمه أول السورة على هذا الوجه برهانًا ساطعًا ودليلاً قاطعًا على ان هذا الكتاب من عند الله ... كأنه قيل: هل آمنوا به؟ أم يقولون – مع ذلك الذي لا يمترئ فيه عاقل– افتراه، أي تعمد كذبه، ولما كان الجواب: إنهم يقولون: افتراه، وكان جوابه: ليس هو مفتري لما هو مقارن له من الإعجاز، ترتب عليه قوله: أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ (سورة السجدة، الآية: ٣) (Surah Al-Sajdah, Verse 3:) أي: الثابت ثباتًا لايضاهيه ثبات شيء من الكتب قبله، كائنًا مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾ (سورة السجدة، الآية: ٣) (Surah Al-Sajdah, Verse 3:) المحسن إليك بانزاله وإحكامه، وخصه بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم حقيقته حق الفهم سواه" (البقاعي، ١٤١٥، ص ٤٤/٦). (Al-Buqai, 1415, p. 6/44).

ب – ٢ / مناسبة السورة لمطلع التي قبلها:

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ (سورة الطور، الآيات: ١–٣). (Surah Al-Tur, Verses: 1–3). قال المراغي: "ومناسبتها لما قبلها:

١. إنّ في ابتداء كل وصف حال المتقين.
٢. إنّ في نهاية كل منهما وعيد للكافرين.
٣. إنّ كل منهما بدأت بقسم بآية من آياته تعالى الكونية التي تتعلق بالمعاش أو المعاد، ففي الأولى أقسم بالرياح الذاريات التي تنفع الإنسان في معاشه، وهنا أقسم بالطور الذي أنزل فيه التوراة النافعة للناس في معادهم.
٤. في كل منهما أمر النبي بالتذكير والإعراض عما يقول الجاحدون من قول مختلف.
٥. تضمنت كلتاهما الحجاج على التوحيد والبعث، إلى نحو ذلك من المعاني المتشابهة في السورتين" (المراغي، ١٩٤٦، ص١٦/٢٧). (Al-Maraghi, 1946, p. 27/16).

جاء في تناسق الدرر: "وجه وضعها بعد الذاريات تشابهها في المطلع والمقطع، فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين، بقوله: إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ (سورة الذاريات، الآية ١٥) (Surah Al-Dhariyat, Verse 15) وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار بقوله في تلك : فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ (سورة الذاريات، الآية: ٦٠) (Surat Al-Dhariyat, Verse: 60) وفي هذه : فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ (سورة الطور، من الآية: ٤٢) (Surah Al-Tur, from verse 42) " (السيوطي، ١٩٨٧، ص١٢٤). (Al Suyuti, 1987, p. 124).

المبحث الأول: الإيثار في أساليب التعبير اللفظية

المطلب الأول

اسلوب التكرار

أ / تكرار الأسماء:

ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى: ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ (سورة الملك، الآية: ٤). (Surat Al-Malik, verse: 4).إذ أمر الله سبحانه وتعالى الانسان: "بتكرير (البصر) في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع، هل يجد فيه عيبًا وخللاً فقال: يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ أي: إنك إذا كررت النظر لم يرجع إليك البصر بما طلبته من وجود الخلل والعيب، بل يرجع إليك صاغرًا ذليلاً لم يرى ما يهوي منهما، حتى كأنه طرد هو كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة" (المراغي، ١٩٤٦، ص ٧٩/٧) (Al-Maraghi, 1946, pp. 7/79) (الاستانبولي، د.ت، ص ٦١/١٠). (Istanboli, D.T, p. 10/61).

وأُختلف في (كرتين) فمنهم من قال: المراد به تكرار البصر ثلاث مرات (الكرماني، د.ت، ص ٢٣٨/١) (Al-Kirmani, dt, p. 1/238) ومنهم من قال اطلق لفظ التثنية (كرتين) والمراد الجمع (الزركشي، ١٩٥٧، ص ٨/٣) (Al-Zarkashi, 1957, p. 3/8) وقال أبي السعود: "أي: رجعتين أُخريين في ارتياد الخلل والمرادُ بالتثنية التكرير والتكثير كما في (لبَّيكَ) و (سَعديك) أي: رجعة بعد رجعةٍ وإنْ كثرت" (العمادي، د.ت، ٤/٩) (Al-Emadi, dt, 9/4) (الآلوسي، ١٤١٥، ص ٨/١٥) . (Al-Alusi, 1415, p. 15/8).

ب / تكرار الأفعال:

ورد هذا النوع من التكرار في النظم الحكيم، وهو لا يقل شأنًا عن تكرار الأسماء فهو فضلاً عما يحققه من التناسق بين الألفاظ فإن له فوائد معنوية كثيرة يكونها السياق الذي ترد فيه، ومنه قوله تعالى: كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ (سورة التكاثر، الآيات: ٣-٤) (Surat at-Takathur, verses: 3-4) جاءت علة ذلك عند المراغي: "أي: أزدجر عن مثل هذا العمل الذي لا تكون عاقبته إلا القطيعة والهجران ... وإنكم سوف تعلمون عاقبة ما أنتم فيه من التكاثر إذا استمر بكم هذا التفاخر بالباطل بدون عمل صحيح نافع لكم في العقبى. ثم أكد هذا وزاد في التهديد فقال: لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ هذا وعيد بعد وعيد في مقام الزجر والتوبيخ كما يقول السيد لعبده: أقول لك لا تفعل، ثم أقول لك لاتفعل" (المراغي، ١٩٤٦، ٢٣١/٣٠). (المراغي، ١٩٤٦، ٢٣١/٣٠). أي: كرر الفعل للتوكيد في مقام الزجر والتوبيخ. قال ابن عادل: "إن هذا من باب التوكيد،

ولا يضر حرف العطف في ذلك، حتى ان أين مالك جعل هذا من التوكيد اللفظي المُبوب له في النحو" (الدمشقي، ١٩٩٨، ص ٥١١/٧). (Al-Dimashqi, 1998, pp. 7/511).

ج / تكرار الجمل

ج – ١ / تكرار الجمل الاسمية

ومن أمثلة تكرار الجملة الاسمية قوله تعالى: وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ (سورة المرسلات، الآية ١٥) (Surat Al-Mursalat, Verse 15) .فقد ورد تكرارها في المرسلات عشر مرات وفي علة ذلك يقول مصطفى المراغي: "أي: هؤلاء وإن كذبوا في الدنيا بأنواع من العذاب، فالطامة الكبرى معدة لهم يوم القيامة، والتكرير للتوكيد شائع في كلام العرب... وقال القرطبي كرر الويل في هذه السورة عند كل آية لمن كذب بشيء؛ لأنه قسمهُ بينهم على قدر تكذيبهم (القرطبي، ٢٠٠٣، ص١٦٩/١٩) (Al-Qurtubi, 2003, pp. 19/169) فجعل لكل مكذب بشيء عذابًا سوى عذابه بتكذيب شيء آخر" (المراغي، ١٩٤٦، ص١٨٣/٢٩). (Al-Maraghi, 1946, pp. 29/183).

ويمكن أن نتلمس ما وراء هذا التكرار منع السر الكامن في أنه اسلوب لمتابعة النفس وتجديد التذكر لها، وقد لفت الزمخشري أنظارنا لذلك بقوله: "فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إدّكارًا واتعاظًا وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا إذ سموا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات ومرات، ويقعقع لهم الشنّ تاراتٍ لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة" (الزمخشري، د.ت، ٤٣٩/٤). (Al-Zamakhshari, dt, 4/439).

وجاء في البرهان: "قوله تعالى: وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ في سورة المرسلات عشر مرات؛ لأنه سبحانه ذكر قصصًا مختلفة واتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: ويلٌ للمكذبين بهذه القصة!! وكل قصة مخالفة لصاحبتها، فأثبت الويل لمن كذب بها. ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها وجعل الكفار في مقابلة كل مثل مِنَ الثواب ويل" (الزركشي، ١٩٥٧،ص ١٩/٣). (Al-Zarkashi, 1957, p. 3/19).

ج – ٢ / تكرار الجمل الفعلية

ومما ناقشه مصطفى المراغي قوله تعالى: فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ (سورة الرحمن، الآية: ١٣) (Surah Al-Rahman, verse: 13) قائلاً: "وقد كررت هذه الآية في واحد وثلاثين موضعًا من السورة تقريرًا للنعمة وتأكيدًا للتذكير بها، فتراه عدّد نعمه على الخلق وفصل بين كل نعمتين بما يذكرهم ويقررهم بها، وهذا اسلوب كثير الاستعمال في كلام العرب، فترى الرجل يقول لمن أحسن إليه بنعمة وهو يكفر بها: ألم تكن فقيرًا فأغنيتك

أفتنكر هذا؟ ألم تكن عريانًا فكسوتك؟ أفتنكر هذا، ألم تكن خاملاً فرفعت قدرك، أفتنكر هذا" (المراغي، ١٩٤٦، ص ١٠٩/٢٧). (Al-Maraghi, 1946, pp. 27/109).

وقد أشار صاحب أسرار التكرار إلى لطيفة في هذه المناسبة حين قال: كرر الآية (٣١) مرة، (ثمانية) منها ذكرت بعد آيات فيها تعداد خلق الله، و(سبعة) بعد آيات فيها ذكر النار وشدائدها وهي مساوي لعدد أبواب جهنم، ثم بعدها و (ثمانية) في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة، ومن عمل بموجب الثمانية الأولى استحق كلتا الثمانيتين من الله تعالى (الكرماني، د.ت، ٢٣١/١). (Al-Kirmani, dt, 1/231).

وأرى بأن العلة من هذا التكرار إنما هي للتأكيد في التذكير ولتقرير الثقلين بالنعمة كما تقدم. أما ما ذهب إليه الكرماني في أسراره من ذكر العدد الذي تكرر فيه هذه الآية فقد نفاه الرازي حيث قال: "وأما هذا العدد الخاص فالأعداد توقيفية لا تطلع على تقرير المقدرات أذهان الناس والأولى ان لايبالغ الإنسان في استخراج الأمور البعيدة في كلام الله تعالى" (الرازي، ١٤٢٠، ص ٤٣٨/٢٩). (Al-Razi, 1420, pp. 29/438).

المطلب الثاني

التخصيص

عمد التعبير القرآني إلى تخصيص لفظ بالذكر دون غيره، وقد برز مصطفى المراغي معللاً هذه الظاهرة في أثناء تفسيره في مواطن كثيرة من ذلك ما جاء في قوله تعالى : فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ (سورة الرحمن، الآية ٦٨) (Surah Al-Rahman, verse 68) حيث يقول: "خص النخل والرمان مع دخولهما في الفاكهة، تنبيهًا إلى ما لهما من ميزة عن غيرهما من الفواكه؛ لأنهما يوجدان في الخريف والشتاء؛ ولأنهما فاكهة وإدام" (المراغي، ١٩٤٦، ص ١٢٩/٢٧). (Al-Maraghi, 1946, pp. 27/129).

قال بعض العلماء: ليس الرمان والنخل من الفاكهة، وحجته في ذلك بأن الشيء لا يعطف على نفسه بل على غيره، وذهب الجمهور: هما من الفاكهة وأعاد ذكرهما لفضلهما على بقية الفاكهة (القرطبي، ٢٠٠٣، ص ١٨٥/١٧) (Al-Qurtubi, 2003, pp. 17/185) ومنهم من قال: خصا بالذكر إما لطيبه، وإما لأكثريته (الدمشقي، د.ت، ص ٣٣٨/٢). (Al-Dimashqi, dt, p. 2/338).

ويرى الباحث ما يراه أبي السعود إذ قال: "عطف الأخيران على الفاكهة عطفَ جبريلَ وميكالَ على الملائكة بيانًا لفضلهما فإنّ ثمرة النخل فاكهةٌ وغذاءٌ والرمانُ فاكهةٌ ودواءٌ" (العمادي. د.ت، ص ١٨٦/٨). (Al-Emadi. DT, p. 8/186). ويندرج في التخصيص أيضًا تخصيص شراب أهل النار (الماء) من غيره من المشروبات، جاء في تفسير المراغي: مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ (سورة إبراهيم، الآية: ١٦)

(Surah Ibrahim, verse: 16) أي ليس له في النار شراب إلا ماء يخرج من جوفه وقد خالطه القيح والدم، وخص بالذكر؛ لأنه الم أنواع العذاب" (المراغي، ١٩٤٦، ص ١٣٩/١٣). (Al-Maraghi, 1946, pp. 13/139).

ويتساءل الرازي قائلاً: "عذاب أهل النار من وجوه كثيرة، فلِمَ خَصَّ هذه الحالة بالذكر؟

الجواب: يُشبِهُ أن تكون هذه الحالةُ أشدَّ أنواع العذاب فخصّص بالذكر مع قوله: ﴿تَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ (سورة إبراهيم، الآية: ١٧) (Surah Ibrahim, verse: 17) ... فكأنّه قِيل: وما ذلك الماء

فقالَ : صديد والصديدُ ما يسيلُ جلود أهل النار. وقيل: التقدير: ويسقى من ماءٍ كالصديد وذلك بأنْ يخلقَ اللهُ تعالى في جهنم ماء يُشبه الصديد في النتنِ والغلظ والقذارة وهو أيضًا يَكُون في نفسهِ صديدًا؛ لأنّ كراهته تصُدُّ" (الرازي، ١٤٢٠، ص٧٩/١٩). (Al-Razi, 1420, pp. 19/79).

الفصل الثاني

المبحث الثاني : الايثار في فنون علم المعاني

المطلب الأول

التقديم والتأخير

وما ينطوي تحت هذا العنوان تقديم (السنة) على (النوم)، في قوله تعالى: لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ (سورة البقرة، الآية: ٢٥٥) (Surat Al-Baqarah, Verse: 255)، حيث يقول مصطفى المراغي معللاً هذا الايثار: "وقد جاء النظم الكريم على حسب الترتيب الطبيعي في الوجود، فنفى ما يعرض أولاً وهو (السنة) ثم ما يتبعها وهو (النوم)، وبعبارة أخرى – هو ترقّ في نفي النقص عنه، فإن من لا تغلبه (السنة) قد يغلبه (النوم)؛ لأنه أقوى، فذكر (النوم) بعد (السنة) ترقّ من نفي الأضعف إلى نفي الأقوى" (المراغي، ١٩٤٦، ص١٢/٣). (Al-Maraghi, 1946, p. 3/12).

وقد علق الزركشي على هذه الظاهرة قائلاً: "ومن التقديم بالإيجاد تقديم (السنة) على (النوم) في قوله لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ؛ لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم، فجاءت العبارة على حسب العادة" (الزركشي، ١٩٥٧، ص ٢٤٠/٣). (Al-Zarkashi, 1957, pp. 3/240).

الخَاتِمَة

الحمدُ للهِ على ما أنعم، وعلّم من البيان ما لم نعلم، والصلاة والسلام على سيدنا مُحمّد خير من نطق بالصواب، وأفضل من أُوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار .

وبعد ...

فبعد هذا التطواف في ظلال تفسير مصطفى المراغي فاني استطيع أن أُجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي بما يأتي:

- إنَّ التعبير القرآني تعبير مقصود، حيث إن كل لفظ فيه وضع وضعًا فنيًا مقصودًا، وانه لم يقدم لفظة على لفظة إلا لغرض يقتضيه السياق.
- جاءت تعليلاته لما أورده من ظواهر في مختلف الآيات القرآنية متسمة بأنها ميسرة وسهلة، وباسلوب ممتع، فضلاً عن خلو عباراته من التعقيد والصعوبة.
- تكرار العلة لدى المفسرين لا يدل على جمود المفسر عند هذه العلة، وإنما يدل على أن هذه العلة أقرب إلى النص وأحق به من غيره.
- اعتمد مصطفى المراغي التعليل أصلاً من أصول تفسيره لكتاب الله عز وجل، فقد علل كثيرًا من الظواهر اللغوية والنحوية والبيانية كما هو واضح عنده.
- اهتمامه البالغ بعلم التناسب، وهو علم قَلَّ من اهتم به من المفسرين، فقد التفت في تفسيره إلى بيان التناسب في المعنى بين الآيات كمناسبة ترتيب آخر السورة مع ترتيب أولها، ومناسبة مطلع السورة لمطلع التي قبلها، بما يؤكد وحدة النظم القرآني، حتى أن القارئ لا يحس أين انتهت الآية، ومن أين ابتدأت، فإنه يرى أن الآيات كلها في تكاملها وإجماعها كالآية الواحدة.
- يرى مصطفى المراغي ان كل تكرير في القرآن انما جيء به لتمكين المكرّر في النفوس وتقريره.
- عني مصطفى المراغي ببيان معاني الأحرف المقطعة في أوائل بعض السور، وكان من عنايته بها انه أورد أقوال العلماء فيها، ولاسيما أصحاب التفاسير.
- كان إيثار الجمل بعضها على بعض مُرتكزًا على ما تُصَدَّر به فانقسمت إلى اسمية وفعلية.
- وقد أكّد هذا البحث أيضًا بعد هذه المسيرة الطويلة أن مصطفى المراغي على الرغم من تأخره عن علماء التفسير إلا أنه جعل البلاغة مؤثرًا فاعلاً في تفسيره وتوجيهه معاني الآيات موافقًا من سبقه.

وأخيرًا أقول: فهذا الكتاب العزيز الذي أبى أن يؤتى بمثله، ولو كان الناس بعضهم لبعض ظهيرًا، كان من اعجازه العجز عن الوقوف على كل أسرار إعجازه؛ لأنه المعجزة الكبرى التي لا تنقضي أسرارها، وأسأله تعالى أن يرزقنا الفهم الصحيح وحسن تدبر القرآن وأن يفقهنا فيه، ويعلمنا من أسراره، وأن لا يؤاخذنا بما يكون قد زلَّ به القلم في غفلة منا، انه نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحمّد وعلى آله وصحابته أجمعين ... وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. ابن منظور، محمد (١٤١٤): لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.
٢. ابن هشام، عبدالله (د.ت): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دمشق.
٣. الإستانبولي، إسماعيل (د.ت): تفسير روح البيان، دار احياء التراث العربي.
٤. الاسترآبادي، محمد (١٩٧٥): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. الأصفهاني، حسين (١٤١٢هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الشامية، بيروت.
٦. الآلوسي، شهاب (١٤١٥): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. أمين، أحمد (د.ت): الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب، بيروت.
٨. الأندلسي، محمد (١٤٢٠): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
٩. البغوي، حسين (د.ت): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.
١٠. البقاعي، إبراهيم (١٤١٥): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. الحلبي، شهاب (د.ت): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١٢. الحمداني، خديجة (١٩٨٩): المركبات في العربية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن الرشد.

١٣.الدنيوري، عبدالله (د.ت): تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤.الدمشقي، عمر (د.ت): تفسير اللباب، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥.الرازي، محمد (١٤٢٠هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦.الزبيدي، محمد (د.ت): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة المحققين، دار الهداية.
١٧.الزركشي، بدر الدين (١٩٥٧): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار المعرفة، بيروت.
١٨.الزركلي، خير الدين (٢٠٠٢): الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين.
١٩.الزمخشري، محمد (د.ت): الكشاف عن حقائق وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠.السامرائي، فاضل (٢٠٠٦): بلاغة الكلمة في التفسير القرآني، ط٢، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة.
٢١.السجستاني، سليمان (د.ت): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٢.السيوطي، جلال الدين (١٤٠٨): تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، ط٢، عالم الكتب، بيروت.
٢٣.الشربيني، شمس الدين (١٢٨٥): السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الاميرية) القاهرة.
٢٤.الشوكاني، محمد (د.ت): فتح القدير الجامع بين الراوية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
٢٥.صافي، محمود (١٤١٨): الجدول في إعراب القرآن، ط٤، دار الرشيد، دمشق.
٢٦.الطبري، محمد (٢٠٠٠): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة.
٢٧.عتر، نور الدين (١٤١٦): علوم القرآن الكريم، ط٦، مطبعة الصباح، دمشق.
٢٨.العمادي، محمد (د.ت): ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٢٩.الغرناطي، أحمد (د.ت): ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبدالغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠.الفاسي، أحمد (١٤١٩): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد بن عبدالله القرشي رسلان، الناشر: د.حسن عباس زكي.
٣١.فيود، بسيوني (٢٠١٠): روافد من نهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ط١، مؤسسة المختار، بيروت.
٣٢.القرطبي، محمد (٢٠٠٣): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير الباري، دار عالم الكتب، الرياض.
٣٣.الكرماني، محمود (د.ت): اسلوب التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبدالقادر أحمد عطا، ومراجعة وتعليق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة.
٣٤.المراغي، أحمد (١٩٤٦): تفسير المراغي، ط١، شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر.
٣٥.النسفي، عبدالله (٢٠٠٥): تفسير النسفي، تح: الشي مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت.
٣٦.النيسابوري، مسلم (د.ت): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار التراث العربي، بيروت.

Sources and references

The Holy Quran*
1. Almaraghi , Ahmed (1946): interpretation of Maraghi 1, company , Library and printinh press Al-Babi Al-Halabi and sons Egypt.
2. Al-Razi, Mohammed (1420): Unseen Keys= The great interpretation of Dar Revival of Arab heritahe, Beirut.
3. Al-Suyuti, jalauddin (1408): The summter of the pearis in proportion to the fance, verification by Abdullah Muhammad Al-Darwish, 2nded. The world of books, Beirut.
4. Alusi, Shooting star (1415): The spirit of meanings in the interpretation of the Great Quran and Vesaba, Achieved by Ali Abd AL-Bari Attia, 1sted, Dar AL-Kotob AL-LLmiyya, Beitut.
5. Andalusian, Mohammed (1420): The Ocean in interpretation, Achieving sidgi Muhammad samil Dar Al- fikr , Beirut.
6. Atr, Nouereddine (1416): Sciences of the Noble Quran, 6th edition, Al-sabah press, Damascus.
7. Bukai , Ibrahim (1415): The Dorar systems in proportion the verses and the surahs, edited by Abdul Razzaq Ghaleb Al Mahdi , Library science, Beirut.
8. Clear , Mahmud (1418): Table in the translation of the Koran i4 Dar Al-Rasheed , Damascus.
9. Cordobi, Mohammed (2..3): whole to the provisions of the Koran, Achievement by Hisham AL-Bukhari, House of Book world, Riyadh.

10. Damascene, Shooting star (D.T): Durr preserved in the sciences the book hidden, Achieving Dr.Ahmed Muhammad Al-kharrat, Dar AL.Qalam, Damascus.
11. Elsherbiny , shams Aldin (1285): The enlightening lamp in hetping to know some of the meanings of the words of our lord, the wise and the expert, press, bulaq (Amiriya), cairo.
12. Emadi, Mohammed (D.T): Guidin a sound mind to the merits of the Noble Book, Beirut.
13. Estrapadi, Mohammed (1970): Explanation of shafia ibn Hajeb, The investigation of Muhammad Nour al-Hasan, Muhammad al-Zafzap and Muhammad Muhi al-Din Abd Al-Hamid, Library Sciencr, Beirut.
14. Fassi, Ahmed (1419): The Long sea in the interpretation of the Glorious quras raslan, publisher Dr.Hassan Abbas Zaki.
15. Feud, Bassiouni (2010): Tibutaries of the river of rhetorical miracles of the holy quran il Al mukhatr founda Beirut.
16. Filigree, Badr Al-Din (1957): Evidence in the sciences of the Quran, Achievement by Abu Al-Fadi Ibrahim,ed1 Dar Al-Halbi and his partners, Dar Al-Marrfa,Beitut.
17. Granada, Ahmed (D.T): Owners of caterorical interpretation with atheism and obstruction in directing the similar pronoun cement of the i-download, The Footnotes of Abd al-Ghani Muhammad Ali al-fassi were written by dar al-kutub al-ilmiyya , beitut.
18. Hamdani , Hatice (1989): vehicles in Arabia , Master Thesis, Uniyersity of Baghdad , Ibn Al-Rushd college of education.
19. Hanbli, Omar (D.T): Interpretation of the core, Dar Al-Alami, Beitut.
20. Ibn- Hisham (D.T): Mughni Labib for books of Aareeb, edited by Dr. Mazen Al-Mubarad and Muhammad Ali Hamdallah, 6th edition, Damascus.
21. Ibn Manzur (1416): Arabes Tong, 3ed floor, Dar Al-issued, Beitut.
22. Is Fahani, Hussain (1412): vocabulary in Gharib Al-Quran Tadhqiq Safwan Adnan Al-Daoudi, 1sted, Dar. Al- Qalam Al-Shamiya, Beirut.
23. Istanboie, ismail (D.T): Interpretion of the spirit of the statement Dar Revival Arab heritage.
24. Kirmani, Mahmud (D.T): The Method of repetition in the similarity of the quan because of the evidence and the statement it contais, Achieved by Abdel Qader Ahmed Abdel Tawab Awad Dar AL fadila.
25. Nisaburi, Muslim (D.T): Sahih Musli, Verification by Muhammad fuad Abdul-Baqi, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut.
26. Relative, Abdullah (2005): Tafsir al-nasfi, investigation by sheikh Marwan beirut.

27. Samural, virtuous (2006): The ehrtoric of the word in the quranic exegesis i2 Al-Atak Company for Book industry, Cairo.
28. Shawdani, Mohammed (D.T): Al-Qadeer, which combines the novel and the know – how from the science of exegesis, opened Dar Al-Fike, Beirut.
29. Sijistaina , Sulaiman (D.T): Sunan Abi Dawood, veritied by Muhammad Muhgiddin Abdul Hamid, The Modern Library,Beirut.
30. Tabari, Mohammed (2000): jamial – Bayan in interpretation of the quran edited by Ahmad Muhammad Shakar 1 st edition, the Resala,Found ation.
31. The Baghawi, Hussain (D.T): Downlgqd Milestones in interpretation of the Quran, edited by Abd AL-Razzaq AL-Mahd: 1 st ed . Dor Revival of Heritage , Beirut.
32. Trustwarthy , Ahmed (D.T) : The rhetorical miracle of the tranasformations of the Qur anice systrms in the similar terms and structures, Beitut.
33. Worldy, Abdullah (D.T): interpretation of the problem of the Quran, verified by Ibrahim shams al-Din, Dar al-Kutub al-llmiyya, Beirut.
34. Zubaidi, Mohammed (D.T): Crown of the bride from the jewels of the f5 flay rose to millions.
35. Zamkhahari, Mahmud (D.T): Discovery of factsand eges of gossip in the faces of interpretation, achieving Abdul Razzaq Al-Mahdi, Dar revival of Arab heritage, beitut.
36. Zubaidi, Mohammed (D.T): Crown of the bride form the jewels of the dictionary investigation of agraoup of investigators Dar Al-Hidaya.

One Of The characterisics of the Quranic systems in the interpretation of Maraghi (T. 1371 E)

Assistant profrssor Dr. Lina Tahmaz Ali Al-Dalawi
College of Islamic Sciences – University of Baghdad

Abstract

The Schogars have endeavored to talk to talk about the pace of the quruanic miracle , such as the graphic miracle , so many books and research have been published. Among these books is the interpretation of the maraghi. His explations were easy and easy, and the repetition of the bug among the interpreters does not indicate the rigidity of the interpreter. By others.

Key Words: Quranic systems, interpretation of maraghi, Interpretations, The bug, ALruism Vocalizations, Rhetorical methods.